

قالَ : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ : أَمِيرُ الْجَزِيرَةِ لَا يَخْرُجُ بَعْدَ هُدوءِ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا عَنْ عِلْمَانِهِ، فِي سِرِّ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى زَوْجَةِ أَوْ سَرِيَّةِ

قالَ : لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا خَرَجْتُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا.

قالَتْ : فَخَبَرْنِي فِيمَا خَرَجْتَ؟

قالَ : يَا هَذِهِ، لَمْ أَخْرُجْ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ بِي أَحَدٌ.

قالَتْ : لَا بُدَّ أَنْ تُخْبِرْنِي بِالْقِصَّةِ.

قالَ : فَأَكْتُمُهُ إِذَاً.

قالَتْ : أَفْعُلُ. فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُ وَرَدِهِ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَتُحِبِّينَ أَنْ أَخْلِفَ لَكِ؟

قالَتْ : لَا، فَإِنَّ قَلْبِي قَدْ سَكَنَ إِلَى مَا ذَكَرْتَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ حُزَيْمَةُ صَالِحَ الْغَرَماءِ، وَأَصْلَحَ حَالَهُ، ثُمَّ تَجَهَّزَ يُرِيدُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِفِلَسْطِينَ. فَلَمَّا وَقَفَ بِبَابِهِ دَخَلَ الْحَاجِبُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِهِ - وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْمُرْوَةِ. وَكَانَ سُلَيْمَانُ بِهِ عَارِفًا فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ.

قالَ : يَا حُزَيْمَةُ، مَا أَبْطَأكَ عَنَّا؟

قالَ : سُوءُ الْحَالِ. قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ مِنِ النَّهْضَةِ إِلَيْنَا؟

قالَ : ضَعْفِي، قَالَ : فَبِمِ نَهَضْتَ؟

قالَ : لَمْ أَعْلَمْ بَعْدَ هُدوءِ اللَّيْلِ إِلَّا وَرَجُلُ طَرَقَ بَابِي، (وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْلِهَا إِلَى آخِرِهَا) .

فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُهُ؟

قالَ : مَا عَرَفْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَكَرِّرًا، وَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ إِلَّا « جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ ». فَتَلَاهَفَ سُلَيْمَانُ لِعِرْفَتِهِ.

وَقَالَ : لَوْ عَرَفْنَاهُ لَأَعْنَاهُ عَلَى مُرْوَةِتِهِ. ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِقَنَاهِ . فَعَقَدَ لِحُزَيْمَةَ الْوِلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي عَلَى عَمَلِ عِكْرَمَةِ الْفَيَاضِ . فَخَرَجَ حُزَيْمَةُ طَالِبًا الْجَزِيرَةَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا، خَرَجَ عِكْرَمَةُ لِلِقَائِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا إِلَى أَنْ دَخَلَا، فَتَرَلَ حُزَيْمَةُ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ فُضُولًا كَثِيرًا، فَطَالَبَهُ بِإِدَائِهَا.

قالَ : مَالِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا سَبِيلٌ.

قالَ : لَا بُدَّ مِنْهَا.

قالَ : ما هيِ عنديِ، فاصلَنَعَ ما أَنْتَ صانِعُ. فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ يُطَالِبُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ لِسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعِرْضِهِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ. فَأَمَرَ بِهِ فَقِيدًا، وَضُيقَ عَلَيْهِ شَهْرًا أوَّلَ أَكْثَرَ، فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَصْرَهُ. وَبَلَغَ ابْنَةَ عَمِّهِ ضُرُّهُ، فَجَرَعَتْ وَاغْتَمَتْ لِذَلِكِ. ثُمَّ دَعَتْ مَوْلَةً لَهَا ذَاتَ عَقْلٍ، فَقَالَتْ: أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ هَذَا الْأَمِيرِ خُزِيمَةَ بْنِ بِشْرٍ، فَإِذَا دَخَلْتِ عَلَيْهِ، فَسَلِّبِيهِ أَنْ يُخْلِيكِ، فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ: مَا كَانَ هَذَا جَزَاءُ «جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ» مِنْكَ، أَنْ كَافَأْتَهُ بِالْحَبْسِ وَالضَّيْقِ وَالْحَدِيدِ. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ خُزِيمَةَ قَوْلَهَا، قَالَ: وَاسْوَعْتَاهُ وَإِنَّهُ لَهُوَ؟

قالَتْ : نَعَمْ، فَأَمَرَ مِنْ وَقْتِهِ بِدَابِبَتِهِ فَأَسْرَجَتْ. وَقَامَ خُزِيمَةُ وَمَنْ مَعْهُ، فَلَقِيَ عِكْرَمَةَ فِي قَاعَةِ الْحَبْسِ مُتَغَيِّرًا، قَدْ أَضْنَاهُ الضُّرُّ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةَ وَإِلَى النَّاسِ أَحْشَمَهُ ذَلِكَ فَنَكَسَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: وَمَا أَعْقَبَ هَذَا مِنْكَ؟ قَالَ: كَرِيمٌ فِعالِكَ وَسُوءٌ مُكَافَأَتِي.

قالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ. ثُمَّ أَمْرَ بِالْحَدِيدِ، فَفُكَّ الْقِيدُ عَنْهُ. وَأَمْرَ خُزِيمَةَ بِوَضْعِهِ فِي رِجْلِهِ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ: مَا تُرِيدُ؟

قالَ : أُرِيدُ أَنْ يَنَالَنِي الضُّرُّ مِثْلَ مَا نَالَكَ.

فَقَالَ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَا تَفْعَلَ. فَخَرَجَا إِلَى أَنْ وَصَلَا دَارَ خُزِيمَةَ، فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ، وَأَرَادَ الْاِنْصِرَافَ،

فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ بِبَارِحٍ، قَالَ: فَمَاذا تُرِيدُ؟

قالَ : أَغْيِرُ مِنْ حَالِكَ مَا رَثَّ، وَحَيَايَيِّ مِنْ ابْنَةِ عَمِّكَ أَشَدُّ مِنْ حَيَايَيِّ مِنْكَ. ثُمَّ أَمْرَ بِالْحَمَّامِ فَأَخْلَى فَدَخَلا، ثُمَّ قَامَ خُزِيمَةُ، فَتَوَلَّ خِدْمَتَهُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ خَرَجَا فَخَلَعَ عَلَيْهِ فَجَمَّلَهُ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَارَ مَعَهُ إِلَى دَارِهِ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْاِعْتِذَارِ مِنْ ابْنَةِ عَمِّهِ، فَأَدَنَ لَهُ، فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهَا، وَتَذَمَّمَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمٌ بِالرَّمْلَةِ. فَدَخَلَ الْحَاجِبُ، فَأَعْلَمَهُ بِقُدُومِ خُزِيمَةَ بْنِ بِشْرٍ، فَرَاغَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ بِغَيْرِ أَمْرِنَا؟ مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ: مَا وَرَاءَكَ يَا خُزِيمَةُ؟

قالَ : حَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قالَ : فَمَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قالَ : ظَفِرْتُ بِجَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْرَكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ تَاهِقِكَ عَلَيْهِ، وَتَشَوُّفِكَ إِلَى رُؤْيَايَتِهِ.

قال : وَمَنْ هُوَ؟

قال : عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَدِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ . فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالخِلَافَةِ . فَرَحِبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجِلِسِهِ .

فَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ مَا كَانَ مِنْ خَيْرِكَ لِخُزِيمَةِ إِلَّا وَبِالَا عَلَيْكَ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَكْتُبْ حَوَائِجَكَ كُلَّهَا ، وَمَا تَحْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ ، قَالَ : أَوْ تَعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قال : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاءٍ وَقِرْطَاسٍ ، وَقَالَ : اعْتَرِلْ وَاكْتُبْ جَمِيعَ حَوَائِجَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا جَمِيعًا مِنْ سَاعِتِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَبِسِفْطَيْنِ شِيَابًا . ثُمَّ دَعَا بِقَنَاهَ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَدْرِيَاجَانَ ، وَقَالَ لَهُ : أَمْرُ خُزِيمَةَ إِلَيْكَ ، إِنْ شِئْتَ أَبْقِيَهُ ، وَإِنْ شِئْتَ عَرَلْتَهُ .

قال : بَلْ أَرْدَهُ إِلَى عَمَلِهِ . ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَلَمْ يَزَالْ عَامِلِيْنَ لِسُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مُدَّهَّ خِلَافَتِهِ .

(بتصرف من كتاب «الفرح بعد الشدة» للتنوخى)

أولاً: الاستيعاب والمناقشة.

تَدْرِيب ١: أَجِبْ بِوْضُعْ عَلَامَةٍ (✓) أَوْ (✗).

- ١ - كَانَ خُزِيمَةُ أَمِيرًا فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
- ٢ - اسْتَهَرَ خُزِيمَةُ بِالْكَرَمِ .
- ٣ - لِزَمَ خُزِيمَةُ بَيْتَهُ عِنْدَمَا أَصْبَحَ كَبِيرَ السِّنِّ .
- ٤ - أَرْسَلَ عِكْرِمَةً أَرْبَعَةَ آلَافَ دِينَارٍ إِلَى خُزِيمَةَ .
- ٥ - لَمْ يَعْرِفْ خُزِيمَةُ الرَّجُلَ الَّذِي أَعْطَاهُ الْمَالَ .
- ٦ - أَخْبَرَ عِكْرِمَةً رَوْجَتَهُ بِقِصَّتِهِ مَعَ خُزِيمَةَ .
- ٧ - وَلَى سُلَيْمَانَ عِكْرِمَةَ الإِمَارَةَ مَكَانَ خُزِيمَةَ .
- ٨ - حَبَسَ خُزِيمَةُ عِكْرِمَةَ، لِأَنَّهُ خَرَجَ عَلَى الْخَلِيفَةِ .
- ٩ - زَوْجَهُ عِكْرِمَةَ، هِيَ السَّبَبُ فِي خُروِجِهِ مِنَ السِّجْنِ .
- ١٠ - عَرَلَ سُلَيْمَانَ خُزِيمَةَ مِنَ الإِمَارَةِ .